

العنوان:	محمد بن عبدالكريم الخطابي ومسألة استقلال المغرب
المصدر:	مجلة أمل
الناشر:	محمد معروف
المؤلف الرئيسي:	بناتي، عثمان
المجلد/العدد:	مج 3, ع 8
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1996
الصفحات:	145 - 154
رقم MD:	413217
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex, EcoLink
مواضيع:	المقاومة المسلحة ، الخطابي ، محمد عبدالكريم ، الاحتلال الفرنسي ، المغرب ، الاستقلال السياسي ، الحركات الوطنية ، مصر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/413217

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

محمد بن عبد الكريم الخطابي ومسألة استقلال المغرب

ذ. عثمان بناني

كان موقف زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي من عملية استقلال المغرب كما تمت في *2* مارس *1956*، موقفا يتسم بالرفض والاستنكار، بل وحتى باتهام المتفاوضين المغاربة بالخيانة والاستهانة بكفاح الشعب المغربي من أجل الاستقلال التام. وقد أعلن عن موقفه هذا في مقابلات صحفية بالقاهرة وفي بيانات مختلفة وزعت على الصحف والمجلات المصرية والأجنبية، وأرسلت إلى المسؤولين المغاربة، وإلى جامعة الدول العربية[1]. وقد أدى هذا الموقف إلى خلق توتر حاد في العلاقات بين الزعيم الريفي والمسؤولين المغاربة وبعض الزعماء الوطنيين الذين كافحت أحزابهم كفاحا مريرا من أجل الاستقلال.

ولاشك أنه كانت لزعيم الثورة الريفية أسبابه الوجيهة في اتخاذ موقفه الذي أغضب المسؤولين والزعماء الوطنيين المغاربة، إنما يجب أن نلاحظ أن المفاوضات التي جرت في فرنسا كانت بعيدة عن الروح التي كانت تحرك محمد بن عبد الكريم، والتوجهات التي كانت تحكم كل نشاطاته والتي كان يعرفها ويفهم أبعادها كل المغاربة المحيطين به.

كانت المفاوضات ثم استقلال المغرب بالنسبة لمحمد بن عبد الكريم انتكاسة للمجهودات التي قامت بها «لجنة تحرير المغرب العربي» في القاهرة، والتي توجت نشاطاتها بإعلان تأسيس «جيش تحرير المغرب العربي» في بداية أكتوبر *1955*[2]، وهو الأمر الذي جاهد من أجل تحقيقه منذ لجوئه إلى القاهرة في *31* ماي *1947*، كما كانت بالنسبة له أيضا لحظة الكشف عن مدى الاختلاف بينه وبين الزعماء الوطنيين المغاربة الذين انغمروا في التفاوض مع الفرنسيين دون أن يهتموا قبل ذلك ولا خلاله بإخباره بقصد أخذ رأيه والتشاور معه، وقد كانوا ـ حسب رأيه ـ ملزمين بذلك حسب ما ينص عليه ميثاق «لجنة تحرير المغرب العربي» الذي وقعت عليه أحزابهم، كما لم يهتموا بقرارات هذه اللجنة ولا بما كان يدور في القاهرة عن شمال إفريقيا، وإنما كان كل اهتمامهم متوجه إلى فرنسا حيث وصل إليها من المنفى ملك المغرب وعائلته،

وحيث يتقرر فعلا مصير المغرب. وحتى الزعيم الاستقلالي محمد اليزيدي الذي كان في «إكس ليبان» ضمن بعثة حزب الاستقلال، والذي زار القاهرة في نهاية أكتوبر 1955، فقد لاحظ محمد بن عبد الكريم أنه لم يأت للتشاور معه فيما يجب أن يكون أو لا يكون، وإنما جاء أصلا للاجتماع بزعيم حزب الاستقلال علال الفاسي الذي كان يقف على خط واحد مع محمد بن عبد الكريم ضد مفاوضات «إكس ليبان»، وذلك لإعطائه صورة صحيحة لما يجري في فرنسا، ولإقناعه بضرورة العودة إلى المغرب لمتابعة تطور الأحداث عن قرب، وهو الأمر الذي تحقق بعد ذلك. وقد زاد هذا من حدة محمد بن عبد الكريم الذي لم يقبل تركه على الهامش في قضية مصيرية كان منغمرا في العمل من أجلها منذ سنوات.

وفي نهاية الأمر، لم يكن محمد بن عبد الكريم ينتظر أن تجري الأمور بهذا الشكل وبهذه السرعة في المغرب، خاصة وأن الأمور كانت قد بدأت تسير في هذا البلد وفي الجزائر حسب قناعاته، وكان يرى أن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد للحصول على الاستقلال، وأن التجربة أكدت أن الأسلوب السياسي غير مفيد بالنسبة للاستعمار، وهو يؤدي في أحسن الظروف إلى شبه استقلال ناقص، لذلك اعتبر أن ما جرى في فرنسا بالنسبة للمغرب هو بالضبط ما جرى في تونس، وأن ذلك ليس سوى إجهاض للثورة في المغرب ومؤامرة استعمارية فرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية التي انفجرت في فاتح نوفمبر 1954.

عندما حصل المغرب على استقلاله في مارس 1956، كان محمد بن عبد الكريم يبلغ من العمر 74 سنة تقريبا، قضى منها تسع سنوات بمصر. وعندما وصل القاهرة في 31 ماي 1947، وكانت قد أصبحت مقرا لجامعة الدول العربية، وجدها ملتهبة بالنشاط المغاربي وكأنها عاصمة شرقية للحركات الوطنية المغاربية المطالبة بالاستقلال، وقد غدت في هذه الفترة أهم مركز على الإطلاق للدعاية لهذه الحركات الوطنية ، حتى أن القسم العربي للإذاعة البريطانية كان يأخذ منها معظم ما يذيعه من أخبار شمال إفريقيا[3].

فوجئ محمد بن عبد الكريم بمجرد وصوله إلى بر مصر بوجود عدد مهم من زعماء الحركات الوطنية المغاربية مثل علال الفاسي من حزب الاستقلال، وعبد الخالق الطريس وامحمد بن عبود من حزب الإصلاح والحبيب بورقيبة ويوسف الرويسي والحبيب ثامر من الحزب الحر الدستوري التونسي والشاذلي المكي من حزب الشعب الجزائري، ووجد أن هؤلاء قد استطاعوا عقد مؤتمر في القاهرة في الفترة من 15 إلى 22 فبراير 1947، وأنهم أسسوا في نهاية المؤتمر «مكتب المغرب العربي» لتنسيق الأعمال التي يقومون بها، وتوحيد الجهود التي يبذلونها في سبيل التعريف بقضايا المغرب العربي[4]. وفي مقر هذا المكتب نفسه استقبل محمد بن عبد الكريم استقبالا حافلا عند وصوله إلى القاهرة في مساء يوم 31 ماي 1947. وفي اليوم التالي من وصوله، استضافه الملك فاروق بقصره في أنشاص خارج القاهرة، وفي 5 يونيو

تناولا الغذاء معا، ثم سافر محمد بن عبد الكريم إلى الاسكندرية بدعوة من الملك، حيث أقام عدة أسابيع في مستشفى فؤاد الأول للراحة والاستشفاء تحت عناية الأطباء. ولم يرجع الزعيم الريفي إلى القاهرة إلا في *18* يوليو *1947*.

وقد ظلت الصحافة المصرية والعربية والدولية تتحدث عن لجوء محمد بن عبد الكريم طيلة العطلة الصيفية، كما أجرى هو نفسه العديد من المقابلات الصحفية وأعطى الكثير من التصريحات، فقد كانت للرجل شهرة عالمية كمناهض للاستعمار بالدرجة الأولى، كما أنه عرف باعتباره أول زعيم وطني استعمل حرب العصابات بعبقرية فذة، فوصوله إلى القاهرة إذن كان حدثا بارزا في الأخبار العالمية، وقد استفادت الدعاية للقضية المغربية من ذلك كل الاستفادة، وأصبح «مكتب المغرب العربي» نقطة لقاء لكل المراسلين للصحافة الدولية الذين كانوا يأتون للمكتب باستمرار بحثا عن أخبار جديدة[5]. وقد كان هذا يعني بالنسبة لمحمد بن عبد الكريم نفسه، ثم بالنسبة للمغاربة المحيطين به في ذلك الوقت، أن ذكرى ثورة الريف ماتزال تطن في الآذان، وأن الزعيم الريفي الذي اختفى عن الأنظار منذ *21* سنة، يعود الآن وبقوة إلى مسرح الأحداث.

وعندما بدأ محمد بن عبد الكريم نشاطه بعد عودته من الاسكندرية، رأى زعماء المغرب العربي الموجودون بالقاهرة أنه حان الوقت لتنفيذ التوصية التي أوصى بها «مؤتمر المغرب العربي» في فقرة «ب» من المادة الثانية من فصل تنسيق الحركات الوطنية وهي الخاصة بـ «تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل للكفاح المشترك[6]»، وتصوروا أن أفضل من يترأس هذه اللجنة هو محمد بن عبد الكريم باعتباره زعيم المغرب العربي ومجاهده الأول. ووافق الزعيم الريفي، ولكن مناقشاته مع الزعماء الوطنيين عن نوعية «الكفاح المشترك» وأساليب الكفاح المنتظر اعتمادها لتحقيق أهداف الحركات الوطنية المغربية، أظهرت له أنهم لا يريدون منه سوى أن يكون المظلة التي يعملون تحتها، وأظهرت لهم أن محمد بن عبد الكريم يرفض أن يكون مجرد رئيس صوري، بل يريد أن يلعب دوره كاملا في توجيه اللجنة المعروضة عليه رئاستها، وأنه يرى أن تحقيق مطامح أبناء المغرب العربي لا يمكن أن يكون إلا بالكفاح المسلح. وهذا كان يعني أن الزعيم الريفي لم يكن يفكر إطلاقا في الاعتزال، وأن «الإحالة على المعاش» لم تكن تخطر بباله على الإطلاق. وقد أظهرت تصريحاته التي نشرتها صحف القاهرة ومجلاتها بعد وصوله أنه وضع «فترة المنفى في لارينيون» بين قوسين، وأنه بوجوده بمصر سيصل ما انقطع، وستكون حياته استمرارا لفترة كفاحه ضد الاستعمار في جبال الريف. وبسبب موقفه هذا، بدأت تتباين وجهات النظر بينه وبين مخاطبيه، لأن معظم الزعماء الوطنيين المغاربيين كانوا يرون ويعتقدون اعتمادا على قناعاتهم السياسية، وأوضاعهم الخاصة، وتجاربهم المختلفة، أن العالم قد تطور كثيرا بما في ذلك شمال

إفريقيا عما كان عليه عندما كان محمد بن عبد الكريم في جبال الريف، وأن الكفاح السياسي يجب أن يكون هو الأساس، أما الكفاح المسلح فإنه لا يمكن أن يكون إلا وسيلة ضغط فقط[7]. ولهذا، حرص محمد بن عبد الكريم على إبعاد نفسه عن «مكتب المغرب العربي»، ولم يكن يشترك في نشاطات هذا المكتب إلا عندما يرى ضرورة ذلك، كما حدث عندما أقام المكتب حفلة كبرى بمقره بمناسبة عيد العرش المغربي في *17* نوفمبر *1947*، وتحدث فيها زعماء المغرب العربي، وألقى محمد بن عبد الكريم كلمة بالمناسبة[8].

وبعد مرور نصف سنة على وجوده بالقاهرة قرر محمد بن عبد الكريم حسم الموقف نهائيا وتأسيس هيئة أخرى يقودها بنفسه وتنسجم نشاطاتها مع معتقداته وأفكاره وقناعاته، ومع الأحوال التي كانت تسود حينئذ بلدان شمال إفريقيا.

وفي *5* يناير *1948*، أعلن محمد بن عبد الكريم عن تأسيس الهيئة الجديدة التي أطلق عليها اسم «لجنة تحرير المغرب العربي» والتي ترأسها بنفسه وجعل شقيقه امحمد الخطابي خليفة له. وفي نفس اليوم وزع بيانا نشرته الصحافة المصرية في اليوم التالي مباشرة، وقد تضمن هذا البيان ميثاق اللجنة وجاء في نهايته : «هذا هو الميثاق الذي قطعنا على أنفسنا العهد بالسير على ضوئه والعمل بمقتضى مبادئه، وقد وافقت عليه أنا وشقيقي امحمد، كما وافق عليه رؤساء الأحزاب المغربية التالية ومندوبوها : الحزب الحر الدستوري القديم، الحزب الدستوري الجديد، حزب الشعب الجزائري، حزب الوحدة المغربية، حزب الإصلاح الوطني، حزب الشورى والاستقلال، حزب الاستقلال[9].

وبدأت «لجنة تحرير المغرب العربي» بتنظيم نفسها ووضع لائحتها الداخلية وتأسيس لجانها الفنية وتخطيط برنامج عملها، وقد كان أول ما عملته اللجنة هو إرسال أول بعثة طلابية مغاربية للدراسة في الكلية الحربية الملكية ببغداد في *27* أكتوبر *1948*[10]. وكانت البعثة تضم ثمانية طلاب أربعة من المغرب، وثلاثة من تونس وواحد من الجزائر. وقد كان هذا العمل يتفق تماما مع ما كان يطمح إليه محمد بن عبد الكريم، إلا أنه لم يلغ ما كان قائما من اختلاف في الرأي والقناعات والرؤى السياسية داخل «لجنة تحرير المغرب العربي»، وقد عبر عن ذلك بوضوح الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة الذي شغل منصب أمين عام اللجنة عند تأسيسها مدة ثلاثة أشهر : «لقد اختلفنا مع محمد بن عبد الكريم الخطابي لأنه كانت هناك مواجهة بين مرحلتين؛ مرحلة العمل المباشر، أي مرحلة الصدام العسكري والحرب، ومرحلة الحوار، والذين اختلفوا معه كانوا وطنيين، أسسوا أحزابا شرعية لم تستبعد العمل المباشر، ولكن كانت لديهم استراتيجيات مختلفة وهكذا اختلفنا لأن الاستراتيجيات كانت مختلفة»[11].

ومهما يكن من أمر، فإن وضع مصر السياسي في أيام الملك فاروق[12] لم يكن ليسمح لمحمد بن عبد الكريم بأن يتحرك حسب رغباته وما يوحي به إليه ضميره، وكان عليه أن ينتظر

لحين قيام الثورة المصرية في 23 يوليو 1952، ثم بداية تأييد مصر تأييدا فعليا ماديا ومعنويا للكفاح المسلح ضد الاستعمار في المغرب العربي.

ونظرا لعلاقاته الخاصة بجمال عبد الناصر الذي أحاطه بكل عناية واعتبره ضيف مصر العزيز المكرم[13]، فقد تمكن محمد بن عبد الكريم الذي انسجم تماما مع الظروف الثورية الجديدة التي بدأت تسود مصر، أن يلعب دورا مهما في دعم المقاومة المسلحة ضد الاستعمار في مجموع بلدان المغرب العربي. وقد كان زعيم الثورة الريفية يطمح في أن تتكتل كل القوى السياسية في هذه البلدان وأن تتوحد في كلمة واحدة وتسعى لغاية واحدة هي طرد المستعمر الأجنبي وتحقيق الاستقلال التام. إلا أن أمله هذا لم يتحقق، فقد خرجت تونس بزعامة بورقيبة من المعركة، وتبعها المغرب بعد أن حققا استقلالهما بالاتفاق مع فرنسا، ولم تبق في الساحة سوى الجزائر، لذلك كانت علاقاته وثيقة مع الزعماء الجزائريين طيلة فترة الكفاح المسلح، بينما كانت مقطوعة مع المسؤولين التونسيين ومتوترة مع المسؤولين المغاربة، لأنه اعتبر استقلال تونس والمغرب ناقصا[14]. وأن زعماء هذين البلدين لم يكونوا أوفياء لميثاق تحرير المغرب العربي[15] الذي وافقوا ووقعوا عليه والذي كان ينص على عدة مبادئ منها :

- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة.
- لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال.
- لا مفاوضة في المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الخاص.
- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.
- للأحزاب الأعضاء في «لجنة تحرير المغرب العربي» أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات.
- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية[16].

وقد اتخذ نفس الموقف مع الجزائريين عندما أوقفوا كفاحهم المسلح واتفقوا مع الفرنسيين على الاستقلال عام 1961.

ورغم محاولات المسؤولين المغاربة استرضاء الزعيم الريفي وإقناعه بالعودة إلى الوطن المستقل، فإن العلاقات لم تكن مريحة على الإطلاق بين الطرفين. وقد زاد الأمر سوءا أن المغرب لم يكن لديه سفير طيلة ما تبقى من سنة 1956، ولم ينضم إلى الجامعة العربية إلا في أول أكتوبر 1958[17]، أي بعد سنة ونصف من حصوله على الاستقلال، وهذا أغضب المصريين والمسؤولين بالجامعة العربية، وترك المجال فسيحا أمام محمد بن عبد الكريم ليتحرك فيه كما يريد. وحتى عبد الخالق الطريس الذي كان أول سفير للمغرب بمصر، وأكثر الناس فهما

ومعرفة بشخصية محمد بن عبد الكريم، وقد كان في مقدمة مستقبليه عند لجوئه إلى مصر، حتى هذا الزعيم السياسي الماهر المشهود له بالحذق والذكاء والكياسة لم ينجح في إقناعه بالعودة إلى المغرب المستقل، وقبول الأمر الواقع، والتعامل مع الأوضاع المغربية الجديدة على أساس أن ما حصل هو أفضل ما كان يمكن الحصول عليه.

ورغم مرور أكثر من سنة على استقلال المغرب، فإن موقف محمد بن عبد الكريم ظل حادا وجارحا في بعض الأحيان، وكنموذج على ذلك تصريحه المنشور في مجلة «آخر ساعة» القاهرية بتاريخ *24* أبريل *1957* والذي جاء فيه : «إن المغرب لم يكتمل استقلاله بعد برغم كل المظاهر... واستقلال المغرب لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا بعد أن يصبح للمغرب كيانه الاقتصادي المستقل، وبعد أن يتم جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيه وتنتقل الإدارة إلى أيدي الأمة... وكان رأيي أن الدخول مع الفرنسيين في مفاوضات يعتبر خيانة وطنية كبرى.. وأنا أعارض كل محاولة لجر المغرب لربطه إلى الأحلاف الغربية التي يسعى الاستعمار لربطه بها في الوقت الحاضر، وفي اعتقادي أن هذه الأحلاف ما هي إلا محاولة للإبقاء على نفوذ الأجنبي الغاصب في بلادنا».

وفي هذا الوقت، كان عبد الخالق الطريس قد وصل إلى القاهرة، وربما يكون من جملة أسباب اختيار هذا الزعيم المحنك لاحتلال منصب أول سفير للمغرب في القاهرة عاصمة حركات التحرر العربية حينئذ، معالجة الآثار الناتجة عن نشاطات الزعيم الريفي في الجمهورية المصرية، وقد رد عبد الخالق الطريس بشكل غير مباشر على ما صرح به الخطابي في «آخر ساعة»، بحديث لمجلة «التحرير» القاهرية بتاريخ *7* ماي *1957* جاء فيه :

«إن المغرب ضد الأحلاف العدوانية، وإننا نعمل لتدعيم استقلالنا بكل الوسائل، ونسعى للبعد عن كل ما يحتمل أن يعيد إلى بلادنا النفوذ الأجنبي».

وقد تميزت الفترة من بداية سنة *1958* إلى ربيع *1959* بتصاعد في تصلب موقف الزعيم الريفي ضد سياسة المغرب الداخلية والخارجية، وظهر ذلك خاصة في ما نشرته «اللجنة العربية للحرية المغربية» التي لم تعمر طويلا بعد تأسيسها بالقاهرة في شهر يونيو *1958* لدعم مواقف محمد بن عبد الكريم في مختلف القضايا المغربية. وقد تضمن المنشور الأول لهذه اللجنة، أجوبة الزعيم الريفي على أسئلة ثلاثة تتعلق بسياسة الجنرال ديجول تجاه الشمال الإفريقي، وموقف الحاكمين في تونس ومراكش من هذه السياسة، والواجب الذي على المغاربة شعوبا وحكومات القيام به لتحرير بلادهم نهائيا. وقد جاء في مقدمة المنشور «إن اللجنة بدأت نشاطها من أجل الحرية الحقيقية في المغرب العربي، فوجهت هذه الأسئلة الثلاثة إلى المجاهد الأعظم من أجل الشمال الإفريقي الذي مازال حتى اليوم يجاهد ويناضل من غير هوادة ولا تراخي ولا مداراة لأحد من أجل التحرر الحقيقي الكامل للأمة العربية في الشمال الإفريقي

والذي مازال يقرع كل يوم ناقوس الخطر ويدق طبول الجهاد المقدس ضد الأعداء في الداخل والخارج[18].

أما المنشور الثاني للجنة، فقد تضمن أيضا حديثا للزعيم الريفي هاجم فيه اتفاقية «إكس ليبان» وقال «... إنه منذ عقد هذه الاتفاقية وحكام مراكش[19] يسيرون في ظروف لا ترضي الشعب المراكشي، ولا تتفق مع أهدافه ومصالحه بأي وجه من الوجوه. لقد أعلنت فرنسا في هذه الاتفاقية استقلال مراكش، ولكن لم ينص في هذه الاتفاقية على جلاء القوات الفرنسية من مراكش: ولهذا فإن الاستقلال الذي أعلنته فرنسا، إنما هو استقلال لفظي زائف، وقد ظل الجيش الفرنسي المسلح يحتل مواقعه في مراكش، وظل الفرنسيون يسيطرون على الإدارة الداخلية كما كان الحال قبل إعلان الاستقلال المزيف. وقد قبل حكام مراكش هذا الوضع، وظلوا محافظين عليه حتى الآن... ولقد كانت فرنسا تنشد من وراء هذا الوصول إلى تفتيت الحركة الثورية الصاعدة وتصفيتها في كل من تونس ومراكش وعزل الجزائر عنهما، والتفرغ لقتال المحاربين الوطنيين هناك. ومنذ اتفاقية «إكس ليبان»، وفرنسا متفقة مع حكام مراكش وتونس على مواصلة هذه الخديعة للقضاء على الحركة التحريرية في الجزائر».

وقد بلغ توتر العلاقات بين الزعيم الريفي والمسؤولين المغاربة أقصى مداه في فترة الاضطرابات التي عمت جبال الريف، وما تخلل ذلك من تدخلات عسكرية عنيفة في نهاية عام *1958* وبداية عام *1959*. وقد نشرت الصحافة المصرية في هذه الفترة عدة بيانات لمحمد بن عبد الكريم أشار فيها إلى أحداث المغرب، وندد بالعمليات العسكرية الرسمية، وأكد أن ما يجري هناك هو «ثورة شعبية عارمة». وقد نشرت جريدة «الصحافة» القاهرية بتاريخ *3* دجنبر *1958* حديثا للزعيم الريفي أشار فيه إلى أن «أسباب أزمة المغرب بعضها داخلي وبعضها خارجي، فالأسباب المتعلقة بسياسة الدولة الداخلية هي :

1 ـ سياسة الظلم والاستبداد ضد الشعب.

2 ـ المحسوبية والرشوة واستغلال الحكم للمصالح الشخصية.

3 ـ الحالة الاقتصادية المرتبكة.

4 ـ التعصب الحزبي الأعمى الذي يسيطر على بعض المسؤولين في حزب الاستقلال وهو الحزب الحاكم.

5 ـ المعتقلين الذين يملأون معتقلات مراكش بدون سبب إلا معارضتهم للحكم القائم.

6 ـ سيطرة الشركات ورؤوس الأموال الأجنبية على اقتصاد البلاد وسياستها.

أما الأسباب المتعلقة بالسياسة الخارجية فهي :

1 ـ الاحتلال الفرنسي وعدم الجلاء الكامل.

2 ـ القواعد الأمريكية التي جعلت الاستقلال حبرا على ورق.

3 ـ عدم انتهاج الحكومة سياسة عربية تحررية ترتكز على مبدأ الحياد الإيجابي.

4 ـ تهاون الحكومة في قضية الجزائر وممالأتها للحبيب بورقيبة في هذا الموضوع سرا.

وقد أدى نشر مثل هذه الأحاديث في الصحافة المصرية إلى نفاذ صبر السفير المغربي عبد الخالق الطريس الذي احتج لدى السؤولين المصريين، ولفت نظرهم إلى ما تنطوي عليه أحاديث محمد بن عبد الكريم الخطابي من أمور لا يصح أن تصدر من مواطن مغربي يدين بالولاء لحكومته الشرعية، كما لا يصح أن يسمح بنشرها في بلاد تربطها بالمغرب أوثق الروابط وتتميز العلاقات بينهما بالمودة والإخاء[20].

إلا أن تطور الأحداث في المغرب، وانكشاف الأسباب الحقيقية التي كانت خلف الاضطرابات في الريف، جعلت محمد بن عبد الكريم يعدل بعض آراءه ويغير بعض مواقفه خاصة بعد أن بدأت حكومة عبد الله إبراهيم تطالب بجلاء القوات الأجنبية من المغرب[21]، وبدأ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي تأسس في 25 يناير 1959 يطالب بتحقيق أمور كان الزعيم الريفي يعتبرها ضرورية لتحقيق استقلال المغرب الكامل.

وقد قام عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية بمجهود كبير في عام 1959 لتطبيع العلاقات مع محمد بن عبد الكريم، وإلى هذا الزعيم الوطني الكبير يرجع الفضل في إعادة جسور الاتصال المباشر على أسس متينة مع زعيم الثورة الريفية، وذلك بزيارته في منزله بالقاهرة في يوليو 1959، والكشف له عن بعض أسرار ما يجري في الساحة المغربية. ثم العمل على تهدئة النفوس في المغرب، وحل بعض مشاكل الزعيم المادية الناتجة عن مواقفه السابقة.، وذلك بتعليمات من الملك محمد الخامس[22].

وربما يعتبر تصريح محمد بن عبد الكريم لجريدة «المساء» القاهرية بتاريخ 15 أكتوبر 1959، هو أول بيان تعاطفي مع المغرب الرسمي في عهد الاستقلال، فقد جاء في هذه الجريدة: «إن الأمير الخطابي قال عندما سئل عن سياسة الحكومة المغربية بشأن القواعد الأمريكية وجلاء القوات الفرنسية والإسبانية عن المغرب وتصريحات السيد عبد الله إبراهيم بهذا الصدد وهو في الأمم المتحدة : إنني من جانبي أؤيد تأييدا تاما السيد عبد الله إبراهيم في هذا العمل الذي يهمنا جميعا، وأعتقد أن كل مغربي يؤيد سياسة عبد الله إبراهيم تأييدا كاملا ويرتاح لهذا العمل الذي يقوم به ويرجو له النجاح الكامل في هذه المشكلة التي تهمنا وتحظى بتأييد العالم العربي أجمع».

ولهذا كان الوضع مهيئا عندما قام الملك محمد الخامس بزيارة بعض الدول العربية

المشرقية وجاء للقاهرة في فبراير 1960، وذهب بنفسه لزيارة زعيم الثورة الريفية في منزله، وعبر له عن تقديره لما قام به من نضال ضد الاستعمار[23].

ورغم ذلك، ورغم كبر السن وبعض العياء، ظل محمد بن عبد الكريم متمسكا بموقفه الصلب والصريح ضد كثير من الممارسات السلبية في المغرب المستقل[24]، وقد ظل إلى آخر أيامه على اتصال وثيق بكل ما يجري في وطنه، ساعدته على ذلك الزيارات المتكررة التي كانت تقوم بها لمنزله شخصيات مغربية مختلفة المشارب والمذاهب، وقد كان في مقدمة هؤلاء المهدي بن بركة الذي كان يتردد كثيرا على القاهرة في بداية الستينات، وذلك بسبب ارتباط نشاطه بمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية التي كان مقر سكرتاريتها الدائمة بالعاصمة المصرية. ورغم أن المهدي بن بركة كان قبل تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، من زعماء حزب الاستقلال الذي لم يكن يتعاطف معه محمد بن عبد الكريم، وكان أحد المفاوضين بـ «إكس ليبان» الذين هاجمهم الزعيم الريفي، وكان رئيس المجلس الوطني الاستشاري الذي كان يهاجمه هجوما عنيفا بعض أصدقاء الخطابي من حزب الشورى والاستقلال، رغم كل ذلك، وبفضل ما كان يتحلى به محمد بن عبد الكريم من نزاهة، والمهدي بن بركة من قدرة هائلة على الإقناع وفرض الاحترام، فقد أصبحت العلاقة بين الرجلين في بداية الستينات مليئة بالثقة والتفاهم والتقدير، وليس هناك من دليل أكثر من الرسالة التي كان الزعيم الريفي قد أرسلها قبل وفاته بشهرين تقريبا للمهدي بن بركة بمناسبة تعرضه لمحاولة الاغتيال الإجرامية في قنطرة واد شراط قرب بوزنيقة بتاريخ 16 نوفمبر 1962.

وفي 6 فبراير 1963، انطفأت شمعة زعيم الثورة الريفية في بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية[25]. وقد أقيمت له جنازة كبرى حضرها الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء الحكومة المصرية ووفدا رسميا من المغرب، والسفراء العرب المعتمدين بالقاهرة، وكثير من الشخصيات والطلبة المغاربة بمصر وجمهور غفير، ودفن في مقبرة الشهداء بالعباسية بالقاهرة، بعد أن رفضت أسرته نقل جثمانه إلى المغرب لدفنه هناك[26].

وهكذا لم يعد محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى المغرب لا حيا ولا ميتا، وقد كان قد صرح في 9 سبتمبر 1957 بأنه لن يعود إلى المغرب ولو على سبيل الزيارة طالما هناك جيش أجنبي لم يحدد وقت جلائه باتفاقية رسمية[27]، ويبدو أنه كان قد قرر في نهاية عمره عدم العودة أصلا سواء كان هناك جيش أجنبي أم لا، لأن الأوضاع العامة كانت تقلقه، وقد عبر عن ذلك مرارا في بعض المقالات التي أرسلها لجريدة «التحرير» لسان حال الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بشكل مباشر، أو عن طريق الشهيد المهدي بن بركة.

هوامش :

(1) مجلة «آخر ساعة» المصرية بتاريخ 24 أبريل 1957.
(2) علال الفاسي : نداء القاهرة (الرباط، المطبعة الاقتصادية، 1959) ص. 91
(3) Bourguiba (H.) : La Tunisie et la France (Paris, Julliard; 1954) P. 194;
(4) مكتب المغرب العربي : مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فبراير 1947 (القاهرة، مطبعة المكتب الثقافي الدولي، 1947)، ص. 36.
(5) Abde-El-Krim et la République du Rif; actes du colloque international d'études historiques et sociologique (18-20 janvier 1973) (Paris, Marspero, 1976) p. 515.
(6) مكتب المغرب العربي : مكتب المغرب العربي في ثلاث سنوات (القاهرة، مطبعة الرسالة، 1950) ص. 9.
(7) شهادة يوسف الرويسي في ندوة عبد الكريم وجمهورية الريف. ص: 516.
(8) مكتب المغرب العربي في ثلاث سنوات ص. 24.
(9) انظر نص البيان كاملا في كتاب : علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي. (طنجة، جسوس، 1948) ص. 349 وما بعدها.
(10) رسالة الكولونيل الهاشمي الطود في كتاب : أحمد معنينو : ذكريات ومذكرات. الجزء الخامس 1952 - 1956. (طنجة، مطبعة سبارطيل، 1991) ص. 47. وأيضا شهادة يوسف الرويسي السابق ذكرها ص. 516.
(11) Bourguiba (H.) : Op. Cit, p. 244.
- انظر أيضا الوثائق والدراسات القيمة المنشورة في كتاب : امحمد بن عبود : مكتب المغرب العربي في القاهرة (الرباط، عكاظ، 1992).
(12) محمد عودة : فاروق (القاهرة، دار الهلال، 1995) الفصل الأول.
(13) محمد العلمي : زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي. (الدار البيضاء، مطبعة الدار البيضاء، 1968)، ط. 2، ص. 77.
(14) جريدة «الشباب» القاهرية بتاريخ 20 فبراير 1957.
(15) محمد العلمي، مرجع سابق، ص. 81.
(16) علال الفاسي مرجع سابق، ص، 350.
(17) محمد علي رفاعي : الجامعة العربية وقضايا التحرير. (القاهرة، 1972) ط. 2 - ص. 140.
(18) اللجنة العربية للحرية المغربية : منشور رقم 1، يونيو 1958. منشور رقم 2 يوليو 1958. نسخة من المنشورين عند كاتب البحث.
(19) كان المشارقة يستعملون كلمة «المغرب» للدلالة على المنطقة التي تضم «تونس والجزائر ومراكش»، ويسمون سكان هذه المنطقة بالمغاربة. ولم يقتصر هذا الاستعمال على المشارقة وحدهم، بل إنه حتى الوطنيين من أقطار المغرب العربي الثلاثة الذين كانوا في المشرق حتى سنة 1956، ساروا على نهج المشارقة، فنجد السادة محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي وعبد الخالق الطريس وامحمد بن عبود ويوسف الرويسي رحمهم الله جميعا والحبيب بورقيبة وعبد الكريم غلاب وغيرهم في جميع ما كتبوه في المشرق العربي، يستعملون هم أيضا كلمة «مغاربة» للدلالة على مواطني تونس والجزائر ومراكش. وكانت كلمة «مراكش» بالنسبة لهم كما بالنسبة للمشارقة تعني «المغرب الأقصى» أي «المملكة المغربية».
(20) كان كاتب البحث في القاهرة في هذا الوقت، وكان هذا الموضوع معروفا لدى بعض المغاربة القاطنين بمصر.
(21) جريدة «المساء» القاهرية بتاريخ 15 أكتوبر 1959.
(22) رسالة عبد الله إبراهيم إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي. نسخة منها عند كاتب البحث.
(23) محمد العلمي، مرجع سابق، ص. 89.
(24) انظر رسالة محمد بن عبد الكريم إلى محمد حسن الوزاني بتاريخ 27 يوليو 1960 في كتاب أحمد معنينو السابق ذكره.
(25) محمد العلمي، مرجع سابق، ص. 92.
(26) نفس المرجع، ص. 93.
(27) جريدة «القاهرة» القاهرية بتاريخ 9 سبتمبر 1957.